﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥﴾ [الجن: 5]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

بعدَ اهتداءِ الجنّ للحقّ اعتذروا عن اتّباعهم الباطل

لَمّا ذَكَر النَّفرُ مِن الجنِّ - الذين استمعوا للقرآنِ - ما هُدوا إليه مِنَ الحَقِّ في اللّهِ، وفيمَن كان يَحمِلُهم على الباطِلِ؛ ذكَروا عُذْرَهم في اتِّباعِهم للسَّفيهِ، وفي وُقوعِهم في مَواقِعِ التُّهَمِ[1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

اعتذارٌ مِنَ الجن عن كونهم كانوا مُشرِكينَ لجَهْلِهم وتقليدِهم لسفهائهم

يقولُ اللّهُ تعالى مخبرًا عن قيْلِ النَّفرِ مِن الجنّ الذين استمعوا القرآن: وأنّا قبْلَ سَماعِنا للقُرآنِ وإيماننا باللّهِ حَسِبْنا أنَّ أحدًا من الثقلين لن يكذبَ على اللّه، ولن يفتري عليه ما ليس بحقّ، فكنّا نصدّقهم فيما أضافوا إليه من الشَّريكِ والصّاحِبةِ والوَلَدِ؛ حتى تبيّن لنا بالقرآن كذبهم وافتراؤهم[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغة التأكيد في صدر الآية ﴿وَأَنَّا﴾:

اعتذارٌ قويٌّ من الجنِّ يُظهرُ صدقَ إيمانهم واعترافهم بخطئهم السابق

التَّأكيدُ بحرْفِ (إنَّ) على قراءة الكسر في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ﴾؛ لقصْدِ تَحقيقِ عُذرِ الجنِّ الذي اهتدوا للحقّ فيما سلَفَ مِن الإشراكِ باللّه سبحانه بأنَّه لجَهْلِهم، وأخْذِهم قولَ سُفهائِهم يَحسَبونَهم لا يَكذِبون على اللّهِ تعالَى[3]، مما يُظهر صدقَ إيمانهم واعترافهم بخطئهم السابق، وعلى قراءة الفتح تأكيدٌ بأنَّهم ظنّوا ذلك، وأخطؤوا في ظنّهم.

دلالة التعبير بالظن:

عبّر البيانُ الحكيم بالظنّ دون العلم أو اليقين، في قوله تعالى:

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 470.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 23/ 654، والزمخشري، الكشاف: 4/ 623.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 224.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾؛ لأنّ تقليدهم لسفهائهم فيما ادَّعوه من الشريك والصاحبة والولد؛ كان عن ظنّ لا عن علمٍ ويقين، وفي هذا دلالةٌ على خطرِ التقليد في العقيدة، وأنّه لا يجوز الأخذ بحسن الظنّ بالمُقلَّد، بل يتعيّن النظرُ في رأيه حتى ينهضَ دليله[1].

تقليدُ الجنّ لسفهائهم فيما ادّعوه على اللهِ كان عن ظنّ لا عن علمٍ

دلالة التعبير بالماضي ﴿ظَنَنَّآ﴾ مسندًا إلى ضمير الجمع:

التعبيرُ بالماضي في قوله: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾؛ للدلالة على وقوعِ هذا الظنّ منهم وتحقّقه وتأكُّده، وأنّ هذا الظنّ كان قبل نزول القرآن، وقبل إيمانِ الجنّ به، فهُم اعتذروا عمّا صدرَ منهم قبل الإيمان من الشرك، وجاء ضميرُ التكلُّم بصيغة الجمع؛ للدّلالة على أنّ هذا الظنّ صدرَ منهم جميعًا قبل الإيمان، ومن ثم فالاعتذارُ أيضًا صادرٌ من الجميع.

وقوعُ الظنِّ وتحقّقه من جميع نفر الجنّ قبل نزولِ القرآن وإيمانهم به

وجه النفي بـ﴿لَّن﴾:

أكّدَ البيانُ القرآنيُّ المظنونَ بحرْفِ ﴿لَّن﴾ المفيد لتأكيد النفي في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ﴾ يُفيدُ أنَّهم كانوا مُتوغِّلينَ في حُسنِ ظَنِّهم بمَن ضَلَّلوهم[2]، ويدُلُّ على أنَّ الظَّنَّ هنا بمعْنى اليقينِ، وهو يَقينٌ مُخطِئٌ[3].

تأبيدُ نفي الكذب على الله في ظنّ نفرٍ من الجنّ تأكيد لهذا الظنّ

دلالة التعبير بفعل القول دون الكلام:

عبّر البيانُ القرآنيُّ بالقول في قوله: ﴿أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ﴾؛ ليشمل القول القلبي، أي: الاعتقاد، والقول اللساني، وكذلك للدلالة على قبح كفّار الإنس والجن في قولهم ونطقهم وتصريحهم بالافتراء والكذب على اللّه، ونسبتهم الصاحبة والولد له علانيةً ومجاهرة.

شدَّة اعتداء كفّار الإنس والجن في جرأتهم ونطقهم بالكذب على الله

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 224.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 470.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 224.

توجيه القراءات في قوله: ﴿تَقُولَ﴾:

التقوُّلُ أفحشُ معنًى والكذبُ أفحشُ لفظًا

قرأ جمهورُ القراء: ﴿تَقُولَ﴾ بضمّ القاف وسكون الواو، وقرأه يعقوب بفتح القاف والواو مشدّدة: ﴿تَقَوَّلَ﴾ من التَّقَوُّلِ، وهو نسبةُ كلامٍ إلى من لم يقلْهُ، وهو في معنى الكذب، وأصله تتقوّل بتاءين، فعلى هذه القراءة يكون ﴿كَذِبًا﴾ مصدرًا مؤكِّدًا لفعل ﴿تَقَوَّلَ﴾؛ لأنّه مرادفه[1]، وفيها احتباك، ففعل التقوُّل أوَّلًا دليلٌ على فعلِ الكذب ثانيًا، ومصدرُ الكذب ثانيًا دليلٌ على مصدر التقوُّل أوَّلًا، وسرّه أنّ التقوُّل دالٌّ على التعمّد، فهو أفحش معنًى، والكذبُ أفحشُ لفظًا، وهذا مرشدٌ إلى أنّه لا ينبغي التقليد في شيء؛ لأنَّ الثقةَ بكلّ أحدٍ عجزٌ[2].

سرّ التعبير بالإنس دون الناس:

اعتمادُ الجنِّ في حسنِ ظنهم بالإنس لِما يملكونه من الطبيعة العقلية والروحية

آثرَ البيانُ الحكيم التعبيرَ بلفظ الإنس دون الناس؛ لأنّ الناسَ تُستخدمُ؛ للدلالةِ على الجماعة أو المجتمع أو البشر بشكل عام، بخلافِ الإنس فإنّها تدلّ على جنسِ الإنسان من حيث طبيعته العقلية والروحية ككائن له عقلٌ ومشاعر، وهي الأنسبُ هنا مع المقام، فإنّ النفرَ من الجن الذين آمنوا اعتمدوا في تقليدهم وحسن ظنّهم بجنسِ الإنس؛ لِما يملكونه من الطبيعة العقلية والروحية.

سرّ التعبير بالجنّ دون الجان:

مؤمنو الجنِّ ظنّوا أنّه لن يقولَ أيّ أحد من جنسِ الإنسِ والجنّ على الله كذبًا

عبر القرآنُ بالجنّ دون الجان؛ لأنّ السياق هو حديث عن جنسين متقابلين هما الإنس والجن، فالتعبيرُ بالجنّ هنا أنسبُ؛ لأنّ المقصودَ جنسُ الجنّ الذين هم خلافُ الإنس، والواحدُ جنّي، وليس المراد الجانّ الذي هو أبو الجنّ، كآدم أبو البشر[3]، فالتعبيرُ بالجنس أعمّ وأشمل؛ إذ إنّ النفرَ المؤمنين ظنّوا أنه لن يقولَ أيّ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 224.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 471.
(3) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وابن منظور، لسان العرب: (جنن).

أحد من جنس الإنس والجن على الله كذبًا، وانخدعوا بتأييد الجنّ جنسًا آخر هو أفضل منه في فيما ادّعوه على الله، كما أنّ التقابل بين الإنس والجن يعطي توازنًا وجمالًا ووضوحًا في التعبير.

سرّ تقديم ﴿ٱلۡإِنسُ﴾:

الإنـــسُ هـم الأصـــلُ في الخطاب ولهم الأفضلية والجنّ لهم تبع

قدّموا ذكر ﴿ٱلۡإِنسُ﴾ على ﴿وَٱلۡجِنُّ﴾ في الآية: ﴿لَّن تَقُولَ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾، مع أنّ الجنّ أسبق في الوجود؛ لكون الإنسِ هم الأصلُ في الخطاب والتكليف، فالقرآنُ أوّل ما خوطب به الإنس، ونزلَ على نبيّهم، وهم أولُ من بدأ بالتصديق والتكذيب قبل الجنّ، فالإنسُ لهم الأفضلية، والجنّ لهم تبع، فالرسلُ من الإنس لا من الجنّ، ولذلك بدؤوا بأفضل الجنسين وأتبعوهم قرناءهم[1]، فضلًا عن أنّ بداءتهم بذكر الإنس أبلغُ في نفي الغرضِ والتهمة، وألّا يظنّ بهم قومهم أنّهم ظاهروا الإنس عليهم، فإنّهم أوّل ما أقرّوا بتقوّلهم الكذبَ على الله تعالى[2]، ويمكن أنْ يكونَ التقديم كذلك تلطّفًا من الجنّ مع قومهم؛ إذ بدؤوا بالجنسِ الآخر المختلف عنهم، نظير القول: إيّاك أعني، واسمعي يا جارة.

دلالة التعبير بحرف الاستعلاء ﴿عَلَى﴾:

تـعـدّي كـفّـار الإنـس والـجـنّ وتـطـاولـهـم في قـولـهـم الـكـذبَ على الله

عبّر البيانُ القرآنيُّ بحرف الجرّ ﴿عَلَى﴾، الذي يفيدُ الاستعلاءَ المجازي، في قوله: ﴿لَّن تَقُولَ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾؛ لإفادة معنى التّجاوز والاستكبار والتّطاول والاعتداء، والمعنى: أنّا ظننا أن لن تقولَ الإنسُ والجنّ قولًا كذبًا على الله متجاوزين ومفترين ومتطاولين ومعتدين على الذاتِ الإلهية، تعالى الله، وتقدّسَ عن كلّ نقص.

سرّ تقديم شبه الجملة ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾:

أصلُ الكلام أن يُقال: (لن تقول الإنس والجن كذبًا على الله)،

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 470، وحاشيتا القونوي وابن التمجيد على تفسير البيضاوي: 19/ 345.
(2) ابن القيم، مصباح التفاسير: 18/ 71.

تقديمٌ ينبئُ بقبحِ الافتراء والتعدّي على قدسيةِ الذاتِ الإلهية

ولكنّ البيان الحكيم قدّم الجار والمجرور، فقال: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾؛ لغرضٍ بلاغي وهو الاهتمامُ بالقول والتأكيد على الجهة التي لا ينبغي أن يُقال عليها الكذب، وهي اللّهُ ﷻ، وهذا يعزّزُ معاني العظمة والقدسية في الآية، وفي التقديم أيضًا مراعاة للفاصلة القرآنية[1].

سرّ إيثار التعبير بقوله: ﴿كَذِبًا﴾:

ظنُّ الجنّ عدم قولِ أيّ كذبٍ عن الله أبلغُ في الاعتذار

عبّر البيانُ الحكيم بكلمة ﴿كَذِبًا﴾ بدلًا من غيرها، كالافتراء والباطل والزور؛ لكونها أنسبَ مع السياق والمقام وأبلغَ في الاعتذار، فلفظ الكذبِ هو أعمّ هذه الألفاظ، ولو استعملَ غيره من الألفاظ؛ لاختصّ بنوعٍ معيّن من الكذب، وأيضًا فإنّ الكذبَ يقابلُ الصدقّ والحقّ، والتعبير به يوضّح الفرقَ الشاسع بين ما كانوا عليه من الكذب، وما آمنوا به من الحقّ.

سر تقييد فعل القول بـ ﴿كَذِبًا﴾:

ما قاله الإنس والجن على الله هو نفسُ الكذب لعراقته في مخالفة الواقع

قولُه: ﴿كَذِبًا﴾ إمّا مَصدرٌ مُؤكِّدٌ لفعل ﴿تَقُولَ﴾؛ لأنَّه نَوعٌ مِن القولِ، أو وصْفٌ لمَصدرِه المحذوفِ، أي: (قولًا كذِبًا)، أي: مَكذوبًا فيه، ومن قرأ: (أنْ لن تقوّل): وضعَ ﴿كَذِبًا﴾ موضعَ (تقوُّلًا)، ولم يجعله صفة؛ لأنَّ التقوُّلَ لا يكون إلّا كذِبًا[2]، وتكمنُ بلاغة محذوف الصفة في أنَّ هذا القول لعراقته في مخالفة الواقع هو نفسُ الكذب[3].

دلالة التعبير بلفظ ﴿كَذِبًا﴾ مصدرًا نكرةً:

الكذبُ الذي قالته الإنسُ والجنّ على الله تعالى كذبٌ قبيحٌ فظيعٌ شنيعٌ

نكّر البيانُ الإلهيّ لفظَ ﴿كَذِبًا﴾ في قوله تعالى: ﴿أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾؛ لإفادة التهويل والتشنيع، فالكذبُ الذي قالوه على الله تعالى كذبٌ قبيحٌ فظيعٌ شنيعٌ، ولإفادةِ التعميم؛ ليشمل

(1) حاشيتا القونوي وابن التمجيد على تفسير البيضاوي: 19/ 345.
(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 623، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 43.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 470.

كلّ كذبٍ، ويؤكّد التعميم ابتداء الآية بالتوكيد، والنفي بـ﴿لَّن﴾ المؤكّدة، والوصف بالمصدر للمبالغة في نفي أيّ نوعٍ من أنواعِ الكذب[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الظن واليقين:

اعتقدَ الجنُّ أنّ الإنسَ والجنّ لا يجرؤون الكذب على الله

الظنُّ أعمُّ من اليقين؛ إذ يَدُلُّ عَلَى مَعنَيَينِ مُختَلِفَينِ: يَقينٍ وشَكٍّ[2]، ويدورُ معنى الظّنّ على توقُّعِ وجودِ شيءٍ مُهِمٍّ؛ لأمارَةٍ أو دليلٍ قويَّينِ[3]، فمتَى قويتْ هذه العلامَةُ؛ أدَّتْ إلى اليقين والعِلم، ومتى ضَعُفَتْ جدًّا؛ لم يتجاوزِ الظَّنُّ حدَّ التَّوهُّم[4]، والظَّنُّ: التَّرَدُّد الرّاجِح بَين طرفي الاعتِقاد غير الجازِم، وقد يُطلَق الظَّن بِإزاءِ اليَقين على الحكم الجازِم المطابق غير المُسْتَند إلَى علته، وعَلى الجازِم غير المطابق، وعَلى غير الجازِم، وقد يُطلَق الظَّن بِإزاءِ العلم على كل رَأي واعتقاد من غير قاطع، وإن جزم بِهِ صاحبه[5]، وأمّا اليَقين؛ فهو العلم الَّذي لا شكّ مَعَه، وأنْ تعلم الشَّيْء، ولا تتخيّل خِلافه، وهو رسوخُ العلم صُلبًا قويًّا في القلب أو أعماق النفس[6]، وقد استعملَ البيانُ القرآني هنا الظنّ دون اليقين؛ لأنّ الجنّ كانوا يعتقدون اعتقادًا راجحًا أنّ الإنسَ والجنّ لا يجرؤون قولَ الكذب على اللّه، ولم يكن اعتقادهم ثابتًا ثبوتًا قطعيًّا، بدليل أنّهم اكتشفوا لاحقًا أنّ هذا الاعتقاد كان خاطئًا.

الكَذِب والافتِراء:

الكذبُ خلافُ الصدق وإخبارٌ بخلاف الواقع وهو أعمّ من الافتراء

الكذبُ أعمُّ من الافتراء؛ إذ الكذبُ هو خلافُ الصدق[7]،

(1) فاضل السامرائي، من أسرار البيان القرآني، ص: 269.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (ظن).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (ظنن).
(4) الرّاغب، المفردات: (ظنّ).
(5) الكفوي، الكليات، ص: 593، والمعجم الوسيط، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (يقن).
(6) الكفوي، الكليات، ص: 67.
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كذب).

والإخبارُ بخلاف ما هو عليه في الواقع[1]، أمّا الافتراءُ؛ فاختلاقُ ما لا حقيقة له، وكذبٌ عظيمٌ مختلقٌ متعمّدٌ بقصدِ الإفساد، وفيه معنى: الشيءُ العجيب النادر والعظيم[2]، وقد ناسبَ هنا استعمال لفظ الكذب؛ لكونه أبلغَ في التّعجب وأبلغ في الاعتذار؛ إذ ظنّوا عدم قول الجنّ والإنس أيَّ كذبٍ على الله تعالى، وأي إخبار بخلاف الصدق والحقّ، فالتعبير به يوضّح الفرق الشاسع بين ما كانوا عليه من الكذب، وما آمنوا به من الحقّ.

(1) مجمع اللغة العربية في القاهرة، المعجم الوسيط: (كذب).
(2) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة: (فري).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والستون،
سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والستون، سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 64 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-38-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 64 : المجلد الرابع والستون، سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-38-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6817852 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"